ولیم جیمز

William James

obeikandl.com

obeikandl.com

وليم جيمس *William James*

(١٨٤٢ — ١٩١٠)

ذاعت شهرة «وليم جيمس» كإمام من أئمة علم النفس ، ولكن «اوليم جيمس » دراسات فلسفية عميقة تعتبر دعائم المذهب البراجماتى ، وفى وسعنا أن نقول إن فلسفة « جيمس» نتاج ناضج تولد عن البيئة الثقافية الأمريكية من ناحية ، وعن دراساته السيكولوجية ونظراته الدينية من ناحية أخرى .

وقد كان فى وسع « وليم جيمس » أن يستنبط مذهباً فلسفياً متسقاً يشترك فى الأخذ به أناس تتباين معتقداتهم وتختلف أديانهم . وهو يرى أن للمعتقدات الدينية أثرها البالغ فى حياة أصحابها ، وهو فى ظنه أثر نافع. وعند ما فحص « جيمس » هذه العقائد فحصاً دقيقاً ، توخى فيه أن يقارن بينها وبين كثير من المعتقدات التى نعتبرها مثلا عليا فى حياتنا ، انتهى إلى النتيجة التالية : وهى أن الإيمان الذى لا يتزعزع سند قوى لتأييد صدق قضية ليس فى وسعنا أن نبررها تبريراً عقلياً . (١)

فإذا كان لإنسان رغبة فى الالتحاق بكلية جامعية والحصول على درجتها العملية ، فما لم يكن عنده إيمان كاف بأن لديه القدرة على العمل فيها فلن يتوصل ألبتة إلى تحقيق ما يبغيه . معنى هذا أنه إذا كان لديه إيمان كاف فى

---

(١) أنظر ص ٥٩ من *W. James : The will to believe* (*Longman Green & G. New york 1897*)

نهوضه بالعمل على مشقته وإقباله على الدراسة على صعوبتها فسينتهى حتماً إلى الاقتناع بقدرته ومن ثم إصابة النجاح . فهنا نرى أن إيمانه الذاتى كان عاملا فعالا فى النتيجة التى خرج بها. فبدون الإيمان ، بدون إرادة الاعتقاد *will to believe* كما يقول « جيمس » لن يستطيع الإنسان أن يعرف ما إذا كان من الممكن له إشباع رغباته أو تحقيق مثله .

يقول « جيمس » إذا كانت حياتك فى خطر وكنت تخشى الغرق قبل أن تصل إلى الشاطىء ، فينبغى لك حتمئذ أن تعتقد بوجه حاجتك ، فبهذا الاعتقاد وحده يمكنك أن تقضى هذه الحاجة . وإذا أبيت الاعتقاد، فقد تكون على صواب ولكنك ستهلك لا محالة . خير لك إذن أن تعتقد فسوف تكون حتماً على صواب ، لأنك ستنقذ نفسك . إنك تجعل هذا العالم أو ذاك صحيحاً صادقاً بثقتك فى واحد دون الآخر . هنالك دائماً عالمان ممكنان ويظلان كذلك طالما لم تقم أنت بدورك .

وإن كل الملابسات التى تكتنف معرفتنا ليست جميعاً ملابسات صعبة تصحبها الأزمات، ونحن نستطيع أن نجد فيها مفتاحاً ودليلا لما نبحث عنه فى رغبتنا فى المعرفة . المنهج البراجماطى يتلخص فى محاولتنا تفسير كل فكرة تعرض لنا ، بتقليبها على وجوهها مستعرضين معقباتها ونتائجها العملية. أى فرق يمكن أن يجده الإنسان من الوجهة العملية إذا أخذ بصحة فكرة دون أخرى؟ إذا لم يكن فى الوسع الوصول إلى فرق عملى بين أحداهما والأخرى ، فحينئذ تكون للفكرتين معاً وجاهتهما من الوجهة العملية. (١)

---

(١) انظر ص ٤٥ من *W. James - Pragmatism*

ذهب « بيرس » *Peirce* وهو أول من أسس المذهب البراجماطى ، إلى أننا بعد أن نضع يدنا على جميع المعتقدات التى هى على الحقيقة قواعد للعمل ، يمكننا أن نشرع فى تحديد السلوك الذى تصلح تلك المعتقدات لتوليده . هذا السلوك وحده هو الذى نرى فيه معنى هذه المعتقدات ومغزاها . والحقيقة الملموسة التى ترسب فى جذور كل تفكير نقوم به ، أياً كان حظه من الوثاقة والمتانة ، هو أنه ليس هنالك جانب من جوانب هذا التفكير إلا ويمثل ناحية من نواحى العمل . ولكى نصل إلى الوضوح الكامل فى تفكيرنا عن موضوع ما ينبغى إذن أن نرى ما عسى أن ينطوى عليه الموضوع الذى أمامنا من نتائج عملية : أى إحساسات نتوقعها منه ، وأى أرجاع يجب أن نتأهب لها . إن تصورنا لهذه الآثار ، سواء أكانت قريبة مباشرة أو بعيدة نائية ، هذا التصور عينه هو تصور للموضوع ، بقدر ما يكون لهذا التصور مغزى وضعى (١)

ويدعونا هذا إلى التساؤل : ماهى الحقيقة إذن فى نظر « وليم جيمس » ؟ إن الأفكار الصادقة أو الحقيقية هى الأفكار التى يمكن أن نتحقق منها ؛ التى يمكن أن نثبت صحتها ، والتى يمكن لنا تقويتها وتدعيمها ، والأفكار الكاذبة هى التى لا نستطيع أن نقوم بشىء من هذا إزاءها . فالصدق على ذلك مُحدث للفكرة ، وهذا الصدق ذاته يتولد من الأحداث ، فصحة الفكرة مرهونة بحادثة أو بعمل (٢).

---

(١) *W. James : Pragmatism* : ص ٤٦ — ٤٧

(٢) نفس المصدر ص ٢٠١

إن امتلاكنا لأفكار صادقة يعنى أننا نمتلك أدوات *Instruments* للعمل . ومن المقطوع به أن للمعتقدات الصادقة المتصلة بالواقع أهمية بالغة فى حياة الإنسان . فنحن نعيش فى عالم وقائع *Realities* قد تكون نافعة وقد تكون ضارة . والأفكار التى ترشدنا إلى الوقائع التى نأخذ بها هى أفكار صادقة . واتباع هذه الأفكار هو أول واجب إنسانى يقع على عاتقنا. وامتلاك الحقيقة أبعد عن أن يكون غاية فى ذاته ، فهو لا يعدو أن يكون طريقاً تمهيدياً إلى إشباع حاجات أخرى أشد حيوية . وعلى ذلك فالقيمة العملية للأفكار مشتقة من الأهمية العملية التى لموضوعات هذه الأفكار بالنسبة لنا ؛ ومع ذلك فموضوعات هذه الأفكار ليست ذات شأن وأهمية فى جميع الملابسات والأوقات . بيد أنه طالما كان من الميسور لأى موضوع أن يغدو هاما فى لحظة من اللحظات، فثمة نفع عظيم يعود علينا ولا ريب من الاحتفاظ بذخيرة من الحقائق ننتفع بها كلما دعتنا الحاجة. وحين يكون لفكرة من هذه الأفكار أهميتها ودعت حاجتنا اليها ، فإنها تنتقل من مستودعها البارد إلى الحياة العملية التى تبث فيها الدفء والحيوية ، فتنتعش وتؤدى مفعولها فى العالم وينمو اعتقادنا فيها . ويمكننا أن نقول عن هذه الفكرة إنها صادقة لأنها نافعة « *It is true because it is useful* » أو إنها نافعة لأنها صادقة « *It is nseful because it is true.* ». هاتان القضيتان معاً تحملان على الدقة نفس المعنى ، أعنى بذلك أن هنا فكرة قد تحققت ويمكن التأكد من صحتها .

من هذه القضية البسيطة تستمد البراجماطية تصورها العام للحقيقة باعتبارها شيئاً مرتبطاً ارتباطاً جوهرياً بالطريقة التى تتبعها لحظة ما فى

تجاربنا فى هدايتنا إلى لحظات أخرى تستحق أن نصل إليها . فقيمة العقل تتمثل فى كونه يؤدى هذه الوظيفة ، أعنى أنه يرشدنا إلى ما يستحق أن يرشد إليه (١). وتكمن وراء كل عملية تؤدى إلى الحقيقة يتم قيامنا بها مليون عملية كامنة فى طريقها إلى الظهور والنشاط . إن الحقيقة تعيش ، فى الواقع ، مستندة إلى رأس مال ضامن *Credit system* ، وأفكارنا ومعتقداتنا تظل فى رواج طالما لا يتصدى لها ما ينافسها ويتحداها ، وما أشبهها فى ذلك بالأوراق المالية تظل سارية المفعول طالما أن الناس جميعاً يقبلون التعامل بها (٢) . ولكن ينبغى ألا يفوتنا دائماً أن نتحقق من صحة الأفكار كما نتحقق من صحة الأوراق المالية وبعدها عن التزييف وإلا كان مصير أفكارنا الانهيار كما ينهار نظام مالى . إن ما هو حقيقى لهو بمثابة مرشد فى طريق التفكير ، وما هو صواب مرشد فى طريق السلوك . وتغدو الأفكار صادقة حين تعيننا على أن نرتبط بسائر أجزاء تجربتنا التى نعيشها ارتباطاً نرضى عنه . إن أية فكرة تؤدى إلى ازدهار حياتنا وتحملنا من جزء إلى آخر عبر تجاربنا وتربط بين الأشياء ربطاً نرضى عنه وتعمل فى أمان وبساطة وتوفر علينا المجهود والمشقة فهى فكرة صحيحة سليمة صادقة معاً (٣) .

قد يبدو مما تقدم أن فلسفة « وليم جيمس » تكاد تنحصر فى نطاق فردى ذاتى . ولكن سرعان ما يبادر « وليم جيمس » نفسه بتجلية هذا اللبس ، فيذكر أن تفسيره للحقيقة تفسير واقعى ، يتمشى مع الثنائية

---

(١) *W. James : Pragmatism* ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٢ .

(٣) نفس المصدر ٥٨ .

فى المعرفة (١) *Epistemological dualism* التى لابد وأن يسلم بها كل فطن حصيف . إن اعتقادنا فى وجود شىء مادى كوجود مكتب مثلا ، هو تصور موضوعى مستقل عن الذات ، ولا بد من التسليم به . هذا التصور للحقيقة الواقعية مستمد من التجربة التى نشترك فيها جميعاً أعنى التجربة الإجتماعية وهذه التجربة هى أساس التعريف البراجماطى للحقيقة (٢) . فالاعتقاد بأن هنالك أشياء واقعية مستقلة عن الفكر اعتقاد راسخ متين لا غنى لنا عنه .

وهنا يمكننا أن نصل إلى النتيجة التى تفضى إليها النظرة البراجماطية فيما يتصل بمعرفة الأشياء . فإلى جانب النظرة العامة بأن الأفكار أدوات مفيدة فى تحقيق نتائج مرضية ، يتوخى « وليم جيمس » أن يعرض علينا بعض تفاصيل نوعية مميزة للمنهج البراجماطى . فالبراجماطية لا تتخذ لفلسفتها دعامة من الميتافيزيقا بغية بناء المعرفة على أساسها ، اللهم إلا التسليم بحسب بإمكان التجربة . البراجماطية فى صميمها منهج فهى لا تحتم الوصول إلى نتائج معينة . فليست هى مذهباً له بداية وله نهاية . وينبنى على ذلك أن البراجماطية ترشدنا إلى أن نستخلص من كل كلمة قيمتها العملية ، وهى تحفزنا إلى أن ندفع بالفكرة إلى بوتقة التجربة ؛ ومحك صحة الفكرة أو بطلانها هو مدى فاعليتها فى ميدان الحياة . فالنظريات فى البراجماطية ليست إلا أدوات ، ومن ثم فليس هنالك قضايا « قطعية »

---

(١) إرجع إلى ماعرضناه بصدد ثنائية الذات والموضوع ص ١٧ ـ ٢٢ من هذا الكتاب .

(٢) أنظر ص ٢١٧ ـ ٢١٨ من *W. James : The Meaning of Truth* « *Longman, Grean & G. New york 1909*

dogmatic كما هو الشأن فى المذاهب الفلسفية المثالية ، وليس ثمة ثابت راسخ إلا المنهج فحسب .

أصدق تشبيه للبراجماطية هو أنها بمثابة ممر طويل فى فندق عظيم تفتح عليه أبواب غرف مختلفة متعددة . ففى غرفة منها نجد مفكراً منكباً على دراسة فى علم الجمال ، وفى أخرى مؤمناً متبتلا يركع على ركبتيه ويرفع أكف الضراعة بالدعاء إلى الله ملتمساً العطف والرضى ؛ وفى ثالثة كيميائياً عاكفاً على قواريره ، وفى رابعة فيلسوفاً سادراً فى تأملاته الميتافيزيقية ، وفى خامسة مفكراً عملياً معنياً بالواقع ضارباً عرض الحائط بالنظرات الميتافيزيقية . . . الخ . ولكن سكان الغرف جميعاً لا بد لهم من أن يخرجوا من أبواب غرفهم ويمرون فى هذا الممر ، ويستخدمونه جميعاً فى حياتهم العملية لأنه مخرجهم الوحيد . فالبراجماطية إذن ليست نتائج مقطوعاً بصحتها وإنما هى « موقف » *Position* موجه لنا فى الحياة . وهذا مانعينه بالمنهج البراجماطى .

وإذا كان الطابع المنهجى هو الغالب على البراجماطية فهل معنى هذا أن البراجماطية تتيح لنا أن نكون مؤمنين وملحدين ، مثاليين وماديين ، ميتافيزيقيين أو أعداء للميتافيزيقا ؟ هل البراجماطية من رحابة الصدر وسعة الأفق بحيث تحيط بهذه الاتجاهات المتباينة؟ يرى « وليم جيمس » أن المعتقد صادق صحيح إذا كان ناجحاً ، كاذب باطل إذا كان فاشلا . ونحن ينبغى لنا ، كما ذكرنا ، أن نمتحن الفكرة بما يسندها من معتقدات ، ولا بد من ثم من فحص هذه المعتقدات التى تسند أفكارنا . ووسيلتنا فى ذلك مناهج تجريبية تقوم على أساس المحاولة والخطأ . فى هذه العملية سيبوء بعض

هذه المعتقدات حتما بالفشل ، وبعضها الآخر يتهيأ له فرصة أكبر للبقاء ، وإن كان مصيره الفشل فى نهاية الأمر . ينبغى لنا أن نتدرب على هذا المنهج ، فنتعلم من التجربة ، ونحتفظ بتلك المعتقدات الفعالة العاملة وننبذ المعتقدات الأخرى الفاشلة ، ومن ثم سيجتمع لنا تدريجياً محصول وافر من المعتقدات الناجحة . ولا يمنع هذا أن من الممكن يوما ما أن تتهاوى هذه المعتقدات كما يتهاوى النظام المالى ، فكثير من المذاهب الفلسفية والسياسية والدينية والأخلاقية والنظريات العلمية ، كان لها أكبر سلطة فى فترة ما ، ثم تهاوت وحلت محلها مذاهب أخرى ونظريات جديدة .

فللبراجماطية الفضل الأكبر فى أنها تفسر تنوع تجاربنا واختلافها وتعددها وتتيح لنا أن نحتفظ بتراثنا الفردى وطاقتنا البشرية وإمكانياتنا التى نستمدها من تجاربنا .

وحين يدرس وليم جيمس العلاقة بين العارف *Knower* والمعروف *Known* (١) ، نراه يلاحظ أن كثيراً من الفلاسفة دأبوا على اعتبار الموضوع والذات كائنين منفصلين ، وأن وجودهما معاً ينطوى على التناقض . ولكن هذا التناقض سرعان ما ينجلى حين ندرك أن المقصود بالموضوع هو القيمة العملية التى له فى تجاربنا . فإذا ذكر لنا فرد ما أن ثمة مطعماً تم افتتاحه حديثاً فى الحى الذى نقيم فيه ، فإننا نسلم مبدئياً بصحة فكرته إذا كانت لنا فيه ثقة ثم نبحث الأمر ، فإذا عثرنا على المطعم اعتقدنا قطعاً فى صحة الفكرة . وبذلك مكنتنا هذه الفكرة من التمرس بتجربة « وجودنا فى المطعم » . وتم لنا تحقيق رغبتنا

---

(١) الفصل الرابع من كتابه [معنى الحقيقة] *The Meaning of Truth*

فى ارتياد هذا المطعم . وعلى ذلك فمعرفة الأشياء الواقعية المحسوسة تأتى إلى الحياة فى لحمة التجربة وسداها .

وتتم هذه المعرفة بفضل العلاقات التى تنكشف لنا من ازدياد تجاربنا ونموها . فالفكرة هى العارف ، والاعتقاد بواقعية الموضوع هى المعروف .

كان هم « جيمس » الأكبر وضع أسس الفلسفة البراجماطية فانصبت عنايته على الناحية الفردية وإن كانت فلسفته لا تخلو كما تبينا من نظرات اجتماعية إلا أن الاتجاه الاجتماعى فى البراجماطية واضح كل الوضوح عند « جون ديوى » .

جون ديوى *John Dewey*

(١٨٥٩ — ١٩٥٢)

يتصور « جون ديوى » الإنسان كائناً بيولوجياً يستغرق فى عملية توافق مع البيئة التى يعيش فيها . ويلتمس « ديوى » مفتاحه إلى طبيعة المعرفة فى الحقيقة القائلة بأن الكائن الذى يتم له التكيف بالبيئة يعيش ؛ بينما الكائن الذى يفشل فى ذلك مصيره حتماً الهلاك . فالحيوانات التى وهبت أيادى قابضة يتيسر لها العثور على الطعام بينما الحيوانات ذات الحوافر تجد مشقة كبيرة فى ذلك . والحيوانات التى لها جهاز عصبى أكثر تعقيداً وأعضاء حس أشد حساسية وذاكرة أقوى واستجابات أعم يمكنها أن تحقق التكيف بينما الأخرى لا يمكنها ذلك .

الأفكار فى نظر «ديوى» لا تعدو أن تكون أدوات يستعين بها صاحبها لتحقيق التوافق مع البيئة ، فالفكرة آلة نافعة تعين صاحبها على الحياة . والأفكار الفاشلة تؤدى بأصحابها للهلاك ، وعلى ذلك ينبغى لنا أن نحرص على الاحتفاظ بالأفكار التى ترضينا وتكفل لنا النجاح ، ونتخلى عن الأفكار التى لا تفضى إلى ذلك . وإذن فثمة تنافس بين الأفكار على البقاء ؛ والذكاء يتلخص فى قدرتنا على التكيف بالظروف التى تكتنفنا أو الملابسات الجديدة التى قد تطرأ علينا . فأولئك الذين يكتسبون أفكاراً تعينهم على التكيف يكتسبون بالتالى الذكاء . والتفكير فى نظر «ديوى» تكيف يؤدى إلى غاية خلال توافق بين مضمونات جزئية فى تجاربنا (١)

وليس هنالك مغالاة فى القول بأن الأداة والمادة تتكيف إحداهما بالأخرى فى عملية الوصول إلى نتيجة سليمة . فألوان الأفكار التى لدينا عن أهدافنا التى نرغب فى الوصول إليها تحجم بعضها عن الحاجات التى تدعو اليها ملابسات جديدة تحيط بنا . فإذا واجه شخص خطر الموت من الصقيع ، فهو يدرك «مشكلة» وقاية نفسه من البرد . فى هذه الملابسة تعرض له فكرة ما يقيه ، ويرى أن كهفا يعينه على ذلك . وهو فى هذه الحالة لا يدعوه «كهفاً» بل يدعوه «واقيا» ، فهذا ما يعنيه الكهف بالنسبة إليه ، ذلك لأن جوهر مسعاه هو وقاية نفسه . ولكن المحاولات الأولى لهذا الشخص كدفرك يديه لتدفئتهما تبدو محاولات ضئيلة القيمة . وحينئذ يحاول أفكاراً جديدة : بعض الملابس ، خيمة ، منزل . . . . الخ .

---

(١) أنظر ص ٩٢٩ *Joseph Ratner : Intelligence in the Morden World John Dewey's philosophy. «New York. 1939»*

من هنا يرى « جون ديوى » أن المعرفة النابعة من التفكير هى فى صميمها معرفة تجريبية بالمعنى الطبيعى الذى تحمله كلمة « تجريبي » . فما لم نحاول أفكارنا ونختبرها فلن يقيض لها أن تتحول إلى معرفة . والواقع أن المعرفة لا وجود لها إلا إذا أفضى التفكير إلى فعل تجريبي يحقق ماذهب إليه . ولكن الموضوع هنا موضوع معرفة لأننا بدأنا فيه بالتفكير أولا ، أى لأن التفكير قد سبقه . والمعرفة يجب أن تكون موضوعية ، ولا يتم لها ذلك إلا إذا تحققت فى الواقع التجريبي . (١)

ويعنينا الآن أن نتساءل عن طبيعة العلم فى رأى « جون ديوى » . هل تنصب مهمة العلم على فحص الموضوعات الواقعية ؟ إن العلم فى نظر «ديوى» هو امتداد للتفكير التأملى الذى ينهض به الكائن البيولوجى حين تواجهه المشكلات الحيوية . وغرض العلم لا يتمثل فى الكشف عن الحقائق الأبدية والتأمل فيها ، بل هدفه الأول هو خدمة الإنسانية . إن العلم ناقص ولن يكتسب الطابع الموضوعى إلا إذا كانت غايته إرضاء حاجات البشر ومطالبهم . ويذهب « ديوى » إلى القول بأن ماندعوه علماً تطبيقياً *Applied Science* ، أحرى أن يكون العلم على الحقيقة من ذلك الذى ندعوه «علماً بحتاً» *Pure Science* : ذلك لأن الأول متصل اتصالا مباشراً بالأدوات القائمة بالعمل ، والتى تتوخى تعديل الوجود البشرى

---

(١) المصدر السابق من ٩٣٢ — ٩٣٣ .

وتبديل أحواله . وعلى ذلك فالعلم قائم فى الهندسة والميكانيكا وفى الطب وفى الفنون الاجتماعية أكثر منه فى الرياضيات والطبيعة .

فالعلم فى نظر «ديوى» عملية ، وظيفة أو نشاط . وليس العلم جماعاً من المعارف أو محصولا من النتائج المخزونة. العلم نشاط يحفزنا للعمل على حل المشاكل فهو قوة فعالة من أجل المعرفة Sciencing ، وليس علماً ثابتا مستكملا Science . ولا يبدأ النشاط العلمى إلا إذا واجهنا مشكلة ولا ينقطع إلا حالما نصل إلى حل لهذه المشكلة أو عند ما تغيب فى زاوية النسيان . وتؤدى المشاكل بالطبع إلى الإيحاء ببعض الحلول . فنحن لا ندرك أننا نواجه مشكلة ما إلا إذا كان هذا الإدراك ذاته ينطوى على اتجاه إلى حلها. وكثيراً مالا تسعفنا تكهناتنا الأولى، وحينئذ لابد لنا من أن نفحص المشكلة بعناية أعظم حتى نحدد تحديداً أوضح وأدق ظروفها وملابساتها وما ينبغى لنا فعله بصددها . وكلما فشلت فروضنا زدنا ضيقا واضطراباً وزدنا تأملا وتفكيراً فيها. فنحن نحاول كل الحلول التى يزودنا بها خيالنا قبل أن نبذل جهداً مضاعفا . وكل حل خيالى يخطر لنا وكل فرض جديد نتوسل به ، هو بمثابة مرشد يهدينا إلى الطريق . نبدأ أولا باختباره ، ونحاول أن نتبين صدقه فإذا كانت نتائجه صادقة على تجاربنا ، كان فرضاً صالحاً سليماً نكون قد بلغنا به مرادنا ، وإذا لم يكن الأمر كذلك نحيناه جانباً. وبدأنا الشوط من جديد .

ويرى « جون ديوى » أنه طالما كان الإنسان حيواناً إجتماعياً فللتجربة الإجتماعية بالغ خطرها . وللأدوات السياسية Politicol Instruments عظيم شأنها . ويعتقد « جون ديوى » فى أن

الإنسان يجب أن يحاول أنماطاً متعددة للتوافق الإجتماعى قبل أن يستقر على أصلحها . وأفكارنا عن أصلح سلوك إجتماعى تأتى أيضا من التجربه الإجتماعيه . وعلينا أن نستبقى الأفكار التى تصل بنا إلى تجارب إجتماعيه ناجحة ، وحين تكون هذه الأفكار ضرورية لازمة لرفاهية مجتمع ما أو جماعة ما ، يشتد ساعدها وتغدو قوانين عامة أو قواعد ثابتة . بيد أنه إذا تقلب الزمن وتغيرت الأوضاع والظروف ، وتبدلت بالتالى حاجاتنا الإجتماعية ، تدعونا الحاجة حينئذ إلى قوانين جديدة ويقتضينا ذلك أن نحاول التجربة من جديد . وأحياناً تصير القواعد بالية لأنها كانت فى الأصل حلولا لمشاكل إجتماعية انتهى أوانها ، فيتعين التخلى عنها . والذكاء الإجتماعى يتطلب الإقلاع عن العادات التى لا فائدة منها ، والاستعاضة عنها بمناهج أخرى نافعة . ولو عاشت المجتمعات بطريقة أفضل ، فترقبت مشاكل المستقبل وتأهبت لها فاعتمدت على التخطيط ورسم الطريق لمواجهتها ، فحينئذ يغدو التخطيط الاجتماعى لازماً لبقاء المجتمع ، كما أن التخطيط الفردى ضرورى لبقاء الفرد .

المعرفة الإجتماعيه لها قيمة عظيمة ، ومن ثم فالعلوم الإجتماعيه تستوى فى أهميتها مع العلوم الطبيعية والبيولوجية ، إن لم تفقها كذلك فى كونها أدوات نافعة للتكيف الإنسانى .